

إحياء علوم الدين

إنه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا .

الرابع أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضا من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والمنيع .

والثاني هو الفرع الأقرب إليه .

والثالث فرع الأول والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب .

والرابع هو الثمرة الأخيرة وهو الغاية القصوى فالأولان بالطبع والأخيران بالاكْتساب .

ولذلك قال علي كرم الله وجهه .

رأيت العقل عقليين ... فمطبوع ومسموع .

ولا ينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوع .

كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع .

والأول هو المراد بقوله A ما خلق الله من العقل // حديث ما خلق الله خلقا

أكرم عليه من العقل أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة

من الصحابة // والأخير هو المراد بقوله A إذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة

فتقرب أنت بعقلك // حديث إذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أخرجه أبو نعيم

في الحلية من حديث علي إذا اكتسب الناس من أنواع البر لیتقربوا بها إلى ربنا D فاكْتسب

أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب وإسناده ضعيف // وهو المراد بقول رسول الله A

لأبي الدرداء B ازداد عقلا تزدد من ربك قريبا فقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال اجتنب

محارم الله تعالى وأد فرائضه سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل

الدنيا رفعة وكرامة وتدل في آجل العقبي بها من ربك D القرب والعز // حديث ازداد عقلا

تزدد من ربك قريبا الحديث قاله لأبي الدرداء أخرجه ابن المجبر ومن طريقه الحارث ابن أبي

أسامة والترمذي الحكيم في النوادر // وعن سعيد بن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا

هريرة B هم دخلوا على رسول الله A فقال يا رسول الله من أعلم الناس فقال A العاقل قالوا فمن

أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت

مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال A وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا

والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيسا ذليلا // حديث ابن

المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ﷺ من أعلم الناس فقال العاقل الحديث أخرجه ابن المجير // قال A في حديث آخر إنما العاقل من آمن بالله ﷻ وصدق رسوله وعمل بطاعته // حديث إنما العاقل من آمن بالله ﷻ وصدق رسوله وعمل بطاعته أخرجه ابن المجير من حديث سعيد بن المسيب مرسلًا وفيه قصة // ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة وكذلك في الاستعمال وإنما أطلق على العلوم من حيث إنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله ﷻ تعالى .

فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة .

والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل .

وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض فإنه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم